وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

أطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه في "العلوم" تخصص فنون شعبية"

الطقوس في طريقة الشيخ محمد بن يلس

ما بين تلمســـان و دمشق-1855م-1927م

إعداد الطالبة:

الحسنية أمتير

أعضاء لجنة المناقشة:

-أ.د شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
-أ.د عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
-د.نصيرة بكوش	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة تلمسان	ممتحنة
-أ.د بن عتو بلبروات	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	ممتحنا
-د.حسين علاّم	أستاذ محاضر(أ)	جامعة مستغانم	ممتحنا
-د.حليمة شيخ	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة وهران(2)	ممتحنة

الموسم الجامعي:2016-2017

إهـــــــداء:

أهدي عملي هذا إلى كل من ســـاعدني

و إلى كل من يشجع البحث العلمي.

كلـــمة شكـــــــر:

أقـــــدم شكري و عرفـــــاني لوالدي الكريـــــمين، أخي محمد الأمين و أخواتي فاطمة الزهراء، أمينة، أسماء و بشرى على عنـــــايتهم و دعمهم لي. كما أقدم شكري مع كل امتنان لزاوية الشيخ بوعـــافية الشريف بتلمسان، و لكل من ساعدني و تحمّل معي مشاق البحث.

و الشـــكـــر الخـــاص للأستـــاذ المشـــــرف الدكتـــــور عبد الحق زريوح على مساعدته الكبيرة لإتمام البحث.

المقــدمة

إن المتتبــع لحـــــــالة التصوف الإسلامي السنـــي، يدرك الاهتمـــــــام المتزايــد به من قِبَلِ الباحثين و الدارسين على اختلاف انتماءاتهم العلمية. لكن هذا الاهتمام يبدو أنه يبقى منكبا في الغالب على فــك رموز الخطاب الصــوفي الشعـــري منه و النثري. إلا أن هذا التيار الديني الروحي و الفني له جوانب أخــرى لا تقــل أهمية عن تراثه الأدبي. وهي تلك الطقوس التي يعرف بها التصوف و التي يمارسها المنتمون إليه داخل الزوايا الصوفية بإشراف الشيوخ المربين أو مقدميها. و ما يلفت الانتباه إلى هذه الطقوس، هو تشابهها و اختلافها أحيانا من طريــق صوفي إلى طريق آخر. كمــا أن استمرارهــا عبر العصور منذ نشأتها يمثل عنصر إعجاب و تساؤلات عدة.

لقد انقسم التصوف إلى تيارين اثنين، وهما التصوف العملي السلوكي الذي يمثله الشيخ أبو حامد الغزالي بكتابه "إحيــاء علوم الدين" و التصوف العلمي الفلسفي الذي يتزعمه الشيخ محيي الدين بن عربي صاحب 'الفتوحات المكية' و 'فصوص الحكم'.

أما التصوف العملــي السلوكي، فيتوجــه إلى فئــات العمــال والتجار والمزارعين وأهل القرى. وتنتمــي إليه الطريقــة الشاذلية الدرقــاويــة التي تفرعت إلى عــدة طرق منها، طريقة الشيخ محمد بن يلس(1855م-1927م) بتلمسان مسقط رأســه، و هي المدينة التي ترعرع فيها و نهل فيها من شتى العلوم على يد مشايخ مرموقين آنذاك.

و التصوف العلمي الفلسفي، تهتم به الطبقات المثقفة الراقية. و هذا واضح من خلال قصائد المنتمين إليه والذين يستعملون أساليب شعرية فلسفية في غاية التعقيد واختيار رموز ومصطلحات معقدة مثل "ترجمان الأشواق" للشيـــــخ محيي الدين بن عربي...الخ.

حين فكـــرنا في الطقـــوس موضوعا لأطروحة الدكتوراه في الفنون الشعبيـــة، لم يكن هذا الموضوع غريبـــا علينا. إذ إننا نـــاقشنا سنة 2005 مذكرة" لنيل درجة الماجستير بعنـــوان: "السمـــاع الصوفي و الحضرة في الزاويـــة المامشـــاوية بتلمســـان-دراســـة ميدانيـــة وصفيـــة-" بإشراف الدكتـــور عبد الحميد حـــاجيات. تضمنـــت عـــدة مواضيـــع منهـــا: التصوف الســـني و الشعـــر الصـــوفي كتمهيـــد للتـــطرق إلى دراســـة السمـــاع و الحضـــرة" و الشيـــخ قدور بن عاشور و هو الشيخ الثـــاني الذي أخذ عنـــه الشيخ بن عودة بن مامشا (1876م-1983م)، خصصنا له في هذه المذكرة فَصْلا" واسعـــا حول شخصيته و شعره الغزيـــر ذي القصائد الطويلة من شـــتى الطبـــوع و الألـــــوان. و من بين الأسباب الموضوعية التي حفزتنا لاختيار هذا الموضوع رغبتنا في تصحيح الاتهامات الموجهة لأهل الزوايا لكونهـــم تخـــــاذلوا بعد ثورة الأميـــر عبد القادر و المقاومات الصوفية التي تبعتها و خضوعهم للسلطات الاستعمارية. فرَأَيْنَا في شخصية و مواقف الشيخ الحاج محمد بن يلس الثـــابتة و المناهضة للاستعمار الفرنسي سواء في الجزائر أو في الشـــام، النموذج الذي يُفَنِّد هذه الاتهامات. و كذلك للتأكد من صحة أو عدم صحة

الاتهامات الموجهة من قبل بعض الباحثين الغربيين و المسلمين حول وجود علاقة بين الطقوس الصوفية و ظواهر الشامانية، الطابو و الطوطمية. فربطنا شخصية هذا الشيخ المربي بالطقوس الخاصة بطريقته، وأعطينا لهذه الأطروحة عنوان :

" الطّقوس في طريقة الشيخ محمد بن يلس ما بين تلمسان و دمشق – 1855م–1927م"

على أساس موازنة الممارسات الطقوسية في طريقة الشيخ محمد بن يلس . فنتناول أوجه الشبه و أوجه الاختلاف إن وجدت بها ما بين مدينتين عريقتين دمشق و تلمسان.

و كان علينا أن نُوسِّع ميدان و زمان هذه الممارسات لكونها إرثاً" دينياً" روحانياً" صوفياً" إلى فترة ما بعد عهد الشيخ ابن يلس. و ذلك في الزوايا ذات المشرب اليلسي، كزاوية الرحمة بدرب "عرس الديدو" وسط مدينة تلمسان و الزاوية المامشاوية بدرب "أولاد الإمام" في حي "نهج باريس" سابقا و الزاوية الشاغورية البوعافياوية بدمشق و تلمسان بحي 'بودغن القديم'.

عُرِف الشيخ محمد بن يلس، بالحرص الدؤوب على محاربته للبدع الدخيلة على المجتمع التلمساني و خاصة النساء كما سنوضحه فيما بعد، و وقوفه أمام محاولات السلطات الاستعمارية الفرنسية لطمس مقومات الشخصية الجزائرية العربية المسلمة، و حرصه الشديد على التمسك بالشريعة الإسلامية كتابا و سنّة، لكونه شيخا مربيا بامتياز، انصب اهتمامه على تربية الطفل و المرأة و خصص لهم أوقاتا و برامج تربوية

في زوايـــاه بتلمسان، وهران، معسكر و دمشق. فكـــانت زاوية "رحمة الله" فـــي تلمســـان، النموذج الأول و الذي أراد به أن يعوض المدرسة التاشفينية التي أمر الضـــابط الفرنسي 'الجنرال كلوزال' حين دخوله إلى تلمسان سنة 1873م، بهدمها لكونها "أجمل من أن تكون عمـــلا عربيا"- .لقد استغرق هدمها ثلاثين سنة في إطار مخطط مزعوم لتوسعـــة المدينة و قد أقيمت في مكانها دار البلدية. و قد وصفها التنسي ب"الجليلة العديمة النظير". و سجل المؤرخ الفرنسي جورج مارسي كيف كان بعض الجنود الفرنسيون يبكون و هم يقومون بهدم المدرسة.

و بعد هجرته إلى بلاد الشام استقر بحي الشاغور بدمشق و فتح زاويته الصمدية. و استمر في مواقفه المناهضة للاستعمار الفرنسي الذي اختـــــار بلاد سوريا ليكون وصيـــــا عليها سنة 1920م. و أدت به معاداته هذه إلى دخـــول السجن بسبب تحريضه على قيـــام ثورة مسلحـــة ضد فرنسا و تشجيعه للمغتربين من الجالية الجزائرية بالالتحاق بهذه الثـــورة ،و هذا ما صرح به حـــاج الدين صاري علي في أحد مؤلفاته، "و لما دخل الفرنسيـــون دمشق قارعهـــم و كـــان مرا عليهم رغم كبر سنـــه فكـــان يقـــارعهـــم و هو فـــوق الثمـــانين. فالقـــوا القبض عليه و حبســـوه في سجن القلعة...".

فقـــامت السلطـــات الفرنسيـــة بتعذيـــب ابنـــه أحمد أمـــامه، و هـــو فـــي ســـن متـــأخـــر و في حـــالـــة مرض. فهـــبّ سكّـــان دمشـــق و علماؤهـــا في مظـــاهرة عـــارمـــة لمســـاندتـــه و إخراجه من سجن القلعة الكائن وسط المدينة. فاضطر الحاكم الفرنســـي إلى إطلاق سراحه

و هذا يبين مكانته في المجتمع السوري كعالم و مفكر و مفتي الديـــــــار الشامية، و الدليل على ذلك النص التالي-"و على إثر وفاة مفتي المالكية في بلاد الشام عام 1919ميلاديـــة و الموافق ل1337للهجرة استدعي الشيـــخ بن يلس ،و الذي كـــان يعرف في بلاد الشـــام باسم الشيـــخ محمد التلمساني، من أجل إجراء انتخابات جديـــدة لمنصب مفتي المالكية الشاغر، فانتخب بالاجماع في مجلس إدارة الولايـــة و التي كانت تابعة آنذاك للإدارة العثمانية، و هذه الرسالة باسم والي سوريه و جعلوا له راتبا شهريا يستعين به على قضاء حوائجه المادية" و ذُكِرَ هذا النّص في كتاب "سلسلة السيرة اليلسية-الإمام الشاعر المادح سيدي الحاج محمد بن يلس حياته و آثاره" من إعداد حفيده عبد السلام بن يلس/ص50- و كشيخ تربية. و لم تنسه إقامته في دمشق مسؤوليته نحو الزاوية التي تركها بتلمسان. و قـــام بالمراسلة بتنصيب بعض المريدين القدمـــاء لتسيير هذه الزاوية، كالشيـــخ بن عودة البرصالي و بعد وفـــاته الشيخ الغوثي البغـــدادلي رحمهـــم الله. و كـــانت طريقـــة المراسلـــة، وسيلة في استمـــرار سهـــره على تربيـــة مريديـــه عن بعد. إذ إنّه كـــان يجيـــب عن أسئلتهـــم، في شرح القرآن الكريـــم و الأحـــاديث النبوية الشريفـــة و إصدار فتاواه في مسائل فقهيـــة معقدة أو تفسير رؤى منـــامية أو حول الطقـــوس الخـــاصة بالطريـــق الصوفي. هذه الطقـــوس التي تبرز الوجه الغامض الذي يتســـم به التصوف و الذي كـــان دوما سبب الاختلاف بين الفقهاء و أهل التصوف.

و من بين الأسباب الذاتية التي جعلتنا نقوم بهذه الدراسة، حضورنـــا أنا و إخوتي مع الوالدين ، كل سنة احتفالا بالمولد النبوي الشريف الذي يقام بالزاوية المامشاوية. و كنا نلتف حول والدتنا في الطابق العلوي من وسط الدار ذات الطـــراز العربي المغاربي، التي تحولت إلى مقر الزاوية المامشاوية في درب أولاد الإمام وسط مدينة تلمســـان. و كنـــا نتـــابع كل ما يجري في صحن المنزل حيث يجلس المريدون و المدعوون و الزوار و نشاهد الطقوس التي تمارس من بداية الحفل بعد صلاة المغرب حتى صلاة الصبح.

و كنا نصغي إلى تلاوة القرآن الكريم و القصائد الخاصة بشخص الرسول صلى الله عليه و سلم، كالبردة للبوصيري التي كان الفقراء يشرعون في إنشادها شهرا قبـــل ليلة المولد النبـــوي و يتركون الأبيات الأخيرة منها لتؤدّى في الليلة الأخيرة.

كمـــا كنا ننصت للسمـــــاع الصوفي، و هو إنشـــاد القصائد لشعراء صوفية يؤديها المسمِّعُون و يرددون لازمتها الحاضرون. و منها قصائد الشيخ ابن الفـــارض و الشيخ شعيب أبي مدين و الشيخ الحراق و الشيخ قدور بن عاشور و الشيخ الحاج محمد بن يلس رحمهم الله. و كلهم مشايخ صوفية لهم دواوين شعر في شتـــى المواضيع، كآداب المريد مع الشيـــخ و المريديـــن و الزهد في الدنيـــا و الحـــث على الإكثـــار من ذكـــر الله و الصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم.

و كان ما يلفت انتباهنا، هو قيام المريدين لأداء العمـــارة على شكل حلقـــة أو عدة حلقات. و يشارك فيهـــــا الخاص من المريديـــن و العـــام

من الحاضرين. ويعتبر هذا الحدث، الذروة في مراحل الحفل فترافق زغاريد النسوة الحاضرات في الطابق الأول و تفجير المفرقعات من طرف الأطفال حركات الممارسين للرقص الصوفي. و نشعر بأحاسيس غريبة منها الإعجاب و الغرابة لمشاهدة أداء "السماع و العمارة". وكسائر الحاضرين كنا ننتظر بفارغ الصبر الأطباق و الحلويات التقليدية الخاصة بالمنطقة كطبق الكسكسي الشهي بالمرق و اللحم "الطْعَامْ" و الشاي و الحلويات الجافة 'الْعُصَّارَه- الْكَعْكْ- الَغْرِيبيَّه...الخ' منها و المعسّلة 'الَمْشَهَّدْ-الْمَلْوِي...الخ' للبركة و نية الشفاء و قضاء الحوائج.

فكلّ هذه اللوحات المشهديّة رسخت في أذهاننا. وكان من البديهي بالنسبة لنا أن نهتم بالتصوف الإسلامي. و نتساءل عن الطريق الصوفي و مكانة الشيخ المربي و الطقوس الصوفية التي ما فتئت تشد انتباهنا.

وكانت هذه التساؤلات كالتالي:

1/ ماهي هذه الطقوس التي يمارسها المريدون داخل الزوايا الصوفية و الاختلافات من طريق إلى آخر؟

2/ هل الطقوس الصوفية تعرف تغييرا أو تطورا في طبيعتها و ممارستها بعامل الزمن و تغير المكان؟

3/ هل هذه الطقوس تؤثر في طقوس طريقة أخرى و تتأثر بطقوسها و تدمج إضافات من هذه الطرق؟

4/هل هذه الطقوس عرفت تغييرا مع خلفاء الشيخ محمد بن يلس؟

5/هل هذه الطقوس لها علاقة مع ظواهر ما يسمى بالشامانية و الطوطمية و الطابو التي تمارسها القبائل البدائية في دياناتها القديمة؟

من كل هذه التساؤلات انبثقت الفرضيات الآتية:

1- تنقسم الطقوس الصوفية عموما، إلى طقوس فردية خاصة بالمريد و علاقته بالشيخ و السلسلة التي تنتمي إليها الطريقة و طقوس جماعية يعبر عنها المريدون بالكلام و الحركة.

2- أصل الطقوس الصوفية واحد حسب المنتمين، و ربما الاختلاف في البعض منها-كالطريقة العيساوية و الحمداوية- يعود إلى أصول مقتبسة من ديانات سابقة للإسلام و من مجتمعات تعرّف عليها المسلمون بعد الفتوحات، شأنها شأن الطقوس التعبدية كالصلاة و الصيام و الحج التي كانت تمارس بأشكال مختلفة و مختصرة في الأديان السماوية السابقة للإسلام.

3-لم تعرف الطقوس اليلسية، أي تغيير أو تطور جوهريّين يمس بأصالتها، و استمرت تمارس كما كانت في تلمسان في حياة الشيخ محمد بن يلس.

4 - عرفت هذه الطقوس بعض التغيير مع المشايخ الذين خلفوا الشيخ ابن يلس سواء بتلمسان أو بدمشق في الشام.

لإثبات صحة هذه الفرضيات، اعتمدنا على مؤلفات منها مصادر و مراجع مهمة و على شهادات تحصلنا عليها من خلال المشاهدة المباشرة للفئات التي كانت محل الدراسة، و قمنا بزيارات ميدانية إلى

زاويـــة "رحمة الله" ، و الزاوية المامشاوية و زاويـــة الشيـــخ الشريـــف بوعـــافيـــة.

والمعلـــوم أن هـــذا الشيـــخ هـــو مـــمثل الطريقـــة اليلسيـــة الشاغورية التي يترأسها ابنه الشيخ عبد الوهاب بوعافية في دمشق بسوريا. و الشيـــخ الشريـــــف بوعـــــافية و هو إمـــام قديـــم لمسجد بودغن و رئيس الجمعية الصوفية "الشيـــخ الشـــاذلي" جـــمع بيـــن زاويـــتـــه و زاوية "الرحمة "،واندمج المريدون وكوّنوا زاوية موحّدة.

إن لهذه الزاويـــة فضلا كبيرا في تزويدنا بالمعلومات و المؤلفات، التي عوضت عدم زيارتنا إلى "الزاوية الصمدية" في دمشق بسوريا بسبب الأحـــداث الجارية منذ بدايـــة الحرب الأهليـــة. و مكنتنا من الاطّلاع على حالة الطقـــوس اليلسيـــة، و ما حالت إليـــه بإشراف المشايخ الذين خلفوه بعد وفاته سنة 1927م و هـــم الشيـــخين أحمد بن يلس و الهاشمـــي الذي أسس زاويـــة موازيـــة للزاوية الصمديـــة ثم الشيخ الشاغوري الذي خلفه الشيخ عبد الوهاب بوعافية.

من أهم الدراسات السابقة التي اعتمدنـــا عليها و أفـــادتنا بمعلومـــات قيمـــة فمن أبرزهـــا و أقدمـــها، 'أسرار التوحيـــــد في مقـــامات الشيخ أبي سعيد' لابن أبـــي الخير الميهـــني الذي أخـــذنـــا منـــه شرحا حـــول ظاهرتي السمـــاع و الحضرة ، "الرسالة القشيرية" للقشيري الذي أعطـــى مفهوما لمصطلح السمـــاع و استشهـــد بقصص واقـــعيـــة حدثـــت لمشايـــخ و مريديـــن أثنـــاء السمـــاع و الحضـــرة ،و "اللُّمَّـــع" لأبـــي الســـراج الطـــوســـي ، و 'إحيـــاء علـــوم الديـــن'

لأبي حـــــامد الغزالي الذي خصص بابا كاملا لظـاهرتي السمـاع الصـوفي و الوجـد، و 'عـوارف المعارف' للإمـام السهروردي الذي أفـادنـا بمعلومـات قيـمة حول السمـاع و الحضرة و "المقـدمـة" لعبد الرحمن بن خلـدون الذي تنـــاول التصـوف كعلـم ، و كتابـه "شفـاء السـائل لتهذيـب المسائـل" الذي قام بترجمته إلى الفرنسية الأستاذ 'روني بيريس René Perez' في سلسلة "إسلام/ سندبـاد" و نذكر أيضا المؤلفـات الهامة التي اعتمدنا كثيرا عليها ك "السلسلة اليلسية- ' الإمـام الشـاعـر المـادح سيـدي الحـاج محمد بن يلس-الرسـائـل و المواقـف الصوفيـة' "و "الإمـام الشـاعر المـادح سيـدي الحاج محمد بن يلس-حيـاتـه و آثـــاره'، اللذان أعـدهما حفيـد الشيخ محمد بن يلـس ،عبد السلام بن أحمـد بن يـلس و اللذان قـدم لهمـا الدكتـور جعلـوك عبد الرزاق، و قد أفـادنا بشدة عن السيـرة الذاتيـة للشيـخ محمد بن يلـس و رسائله ذات الأسلوب الأدبي الراقي مع اختلاف مواضيعها أثرت البحث و دعمته بصفة كبيرة. و كذا ديـوان الشيخ محمد بن يلس لحفيـده مصطفى بن يلس و الذي أضاف ذوقـا شعريـا فنيـا للبحث من جانب القصائد الشعرية منها ما ألفـت بتلمسان و منها ما ألفت بدمشق، و كتـاب 'الأنوار اليلسـية لطريقة الشـاذلية الدرقـــوية لـزاويـة رحمـة الله التـلمسـانيـة' للمرحـوم بـإذن الله الحـاج عبد الكريم حاج الدين صـاري علي و التي قـــام بتقـديمها فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، و الذي أفادنا كثيرا وزودنا بمعلومات و وثائق و مخطوطات في غاية الأهمية. و المؤلـف الهـــام

للشيـــخ عبد القادر عيسى، عنوانه 'حقـــائق عن التصوف' والذي دعم بحثنـــا بروايات حقيقيـــة عن السماع والحضرة، و المؤلف المهـــم للباحثـــة "آنـــا مـــاري شيـــمل " المترجم من الألمـــانيـــة إلى العربية "الأبعـــاد الصوفية في الإسلام" و الذي أضـــاف لنـــا معلومات أيضا حول الطقوس الصوفية.

و مـــا يلاحظ في جل هذه المؤلفـــات، هو غياب معالجة الجـــــانب الفنـــــي للطقـــوس موضوع البحث و كذا انعدام الإشارة إلى أصولها. ما عدا محاولات ربطهـــا بأحـــداث وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم كمشاهدته برفقـــة السيدة عـــائشة رضي الله عنهـــا لرقـــص الحـــبشـــة بالمسجـــد النبـــوي، و كـــذا استمـــاعه صلى الله عليه و سلم للفتيـــات اللاتي كنّ تغنّينَ للسيدة عائشة رضي الله عنها في بيتها أيـــــام العيـــد – .إذ لم نتمكـــن من العثـــور على بحوث فنيـــة في هذا المجـــال. الشيء الـــذي جعـــلنـــا نقـــوم بقيـــاس بعض السمـــاع للشيخ ابن يلس على القصائد التي قام بهـــا الأستـــاذ جعلوك عبد الرزاق في أطروحتـــه "العـــروض الموسيقي و الإيقـــاع في نظم الملحـــون عنـــد ابن مسايب" التي ناقشها سنة 1995م لنيل درجة الماجستير.

أمـــا الجانب الفني في الحضرة أو العمارة، فاتخذنا حوله تصريحات بعض المنتمين المسنِّيـــن لشرح بعض الجوانب الخاصة و الغـــــامضة. و يبقى هذا على عاتقهـــــم و مسؤوليتهـــم. لكن يعود لهم الفضل لقبولهم الكشف عن مثل هذه الحقائق.

و قد أشـــرنا إلى اتبـــاع منهـــج المقارنة بين الطقوس اليلسية في ممارستها في كل من تلمسان و دمشق بسوريا، لنكشف عن مدى التغييرات أو التطورات التـــي حصلـــت لهذه الطقوس. و لكن سرعان ما تبين لنا بعد التحقيقات الميدانية التي قمنـــــــــا بها في الزوايـــا نموذج البحـــث، أن التطـــور و التغيير لم يكـــونا بالقـــدر الذي كنـــا ننتظـــره. و كثيرا ما يحصل للباحث كمـــا يقول موريس أنجـــرز في كتابه "منهجية البحث العلمي في العلـــوم الإنسانية" أن الواقع الذي يتوجه إليه، لا يؤكد بالضرورة ما جاء في فرضية الانطلاق ،و يعود للباحث بفضل صياغته للفرضية أن يجعل للواقع أن يأخذ معناه و مدلوله الحقيقي حتى لو سارت هذه الفرضيـــة في الاتجاه المعاكس للتنبؤ. إذ يمكن تأكيد الفرضية أو نفيها بواسطة المعطيات المتحصل عليها من الواقع".

و لقد تبين لنا بالفعل أن هذا التغيير لم يكن بالقدر المنتظر. ثم إن مثل هـــذا التنقل قد حصل لمن سبق الشيخ ابن يلس في الهجـــرة من المشايخ الصوفيـــة، مثل الشيخ الشـــاذلي إلى مصر و الشيـــخ شعيب أبي مديـــن و الشيخ محيي الدين بن عربي و الأمير عبد القادر إلى بلاد الشام.

و يجب أن نصرح بظاهرة علمية واجهتنا أثناء هذا البحث، و هي تخص منهج المقارنة و الذي كان علينا التقيد به. و لكن ما دمنا نتعمق في البحث و نحن ندرك أن هذا النوع من الدراسات، لا يخلو من جوانـــب أخرى لا مفر من إدماجها مع المنهج الرئيسي الفنـــي و التطرق أحيانا إلى جوانب أخرى قد تلقي الضوء أكثر على هذه الممارسات. و السبب يكمن في طبيعة الظاهرة الصوفية الغامضة في مواجهتهـــا للدارس غيـــر

المنتمـــي. إذ إن منهـــج المقـــارنة حسب موريس أنجرس في مؤلفه المذكور ،يسمح بتناول موضوع الدراسة بأكثر من منهج واحد أو بأكثر من تقنية واحدة. والاكتفاء بالاعتماد على الجانب الفني يزيل أبعادا مرتبطة به و ربما أكثر أهمية لدى أهل التصوف، و لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار الفرق الشاسع بين دراسة شخصية فنيـــــة، مثل شيـــخ مطرب في الفـــن الأندلسي أو الحوزي و دراسة ظاهرة فنيـــة عند شيخ صوفي. فمن يأخذ على عاتقه دراســـة فن موسيقـــي محض، يجب أن يكون ملما بالطبوع الموسيقية و يمارسها و تكون له درايـــة كاملة في العروض و الإيقاع. أما دراســـة الطقوس الصوفية، فإنها تختلف كليا حسب رأينـــــا. إذ إنـــهـــا تتطلـــب محـــاولات كشـــف ستـــور تنتمـــي إلى الميـــدان الروحاني تظهر أوجه منها على أشكـــال ثقافية فنية يمكن مشاهدتها.

إن الواقـــع الذي نتوجه إلى ملاحظته; حسب ماجاء به المفكر موريس أنجرس في الكتاب السابق ذكره، لا يؤكد بالضرورة ما جاء في فرضية الانطلاق. لكن بفضل صياغتها يمكن لهذا الواقع أن يأخذ معنـــاه و مدلوله الحقيقي حتى لو سارت هذه الفرضية في الاتجاه المعاكس للتنبؤ. إذ يمكن إذاً تأكيد الفرضية أو نفيهـــا بواسطة المعطيات المتحصل عليها من الواقع.

لقد لاحظنـــا أن جل المصادر و المراجع، تدرس الطقوس الصوفية من وجهة دينيـــة و نفسية فقط. أما البحـــوث التي تعالجهـــا من النـــاحية الفنيـــة والذوقية، فهي نـــادرة و تـــأتي عبر مواقع شبكـــات الأنترنيـــت.

و على هـذا الأسـاس، ارتأينـا أن نـبنـي هـذه الدراسـة على النظـام أو الهيكل التالي ، نستهل البحث بمدخـل نقـوم فيـه بشـرح مصطلح الطقوس من المعاجـم العربيـة و الاجتماعية و الأنثربولوجيـة و أصل الكلمة. و نتناول ظواهـر الطابـو و الطوطميـة و الشامانيـة. كما نحاول أن نذكر الطقوس في الأديان السماويـة وأقسامها و وظائفهـا.

و قسمنا هذه الأطروحة إلى ثلاثـة فصول و قسمنـا كـل فصل إلى مبحثين:

أما الفصل الأول المعنـون ب'الشيخ محمد بن يلس و الطريقة الشاذلية الدرقاوية'، فيندرج تحتـه مبحث أول نحـاول أن نعطي نبذة عن طريقتي الشيخين الشاذلي و الدرقاوي، ثم نبذة عن مدينة تلمسان و البيئة التي نشـأ فيها الشيخ محمد بن يلس و تكون شخصيته وتعليمه و أهم مشايخه و عن زاويته بتلمسان، و عن نضاله و مقاومته للحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي.

أما المبحث الثاني المعنون بهجرته إلى الشام، فنعطي نبذة عن مدينة دمشق و الزاوية الصمدية التي قام بترميمها و كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي بالشام و أهمية مراسلاته مع المشايخ و المريدين.

أمـا الفصل الثـاني المعنون بالطقـوس الصوفية، فالمبحث الأول منه تطرقنا فيـه إلى ميزات الطقـوس الصوفية الخاصة بأهل الطرق الصوفية عن الطقوس العـامة في الإسلام و مسألـة الإذن، ثم الطقـوس الصوفية المشتركة بين الطرق الصوفية كأخـذ العهد و ضرورة اتخـاذ

شيـــخ مرب مأذون و ملقن للأوراد و الأذكار و الأحزاب و الدعـــوات و مجـــاهدة النفـــس و الرؤيـــا الصالحـــة و تفسيـــرها و الصلوات الخـــاصة بصيغهـــا المختلفـــة على الرســـول عليـــه الصلاة و الســـلام. و نـــأتي بنمـــاذج من قصـــائد بعض المشـــايخ و تلحينها و ظاهرتي السماع و الحضرة مفهومهـــا لغـــة واصطلاحا و نشأتهما. و في المبحث الثاني من الفصل الثاني المعنون بالطقوس الشاذلية الدرقاويـــة، نتطـــرق إلى أخـــذ العهـــد و الوسيلـــة الشـــاذليـــة و الأذكـــار و الأوراد و الصـــلاة علـــى الرســـول عـــليـــه الصـــلاة و الســـلام و الأحزاب و السماع الصوفي و تأثره بالطـــبوع الأندلسية و الحضـــرة.

أمـــا الفصل الثـــالث والأخيـــر المعنون بالطقوس اليلسيـــة في عهد الشيـــخ محمد بن يلس"، فقسمنـــاه إلى مبحثين.

الأول يضم وصفـــا لظـــاهـــرة أخـــذ العهـــد فـــي عهـــد الشيـــخ محمد بن يلس و الوسيـــلة و الصلاة المشيشيـــة و الأحـــزاب و الأوراد و الدعوات و تفسيـــر الرؤيـــا عند الشيخ ابن يلس من خلال رســـائلـــه و شعره الصوفي و تلحيـــنه و نختتم بالسماع و الحضرة .

و في المبحث الثـــاني 'الممارســـات الطقوسية في تلمسان و دمشق في عهد خلفاء الشيخ محمد بن يلس'، تناولنا أولا في زواياه في تلمسان، بما فيها الزاويـــة المـــامشاوية التي تسير على نهج زاويـــة الرحمة تقريبـــا و الزاوية البوعافياوية و ثانيا الممارسات الطقوسية في دمشق بعد وفاة الشيخ محمد بن يلس أي خلفاؤه ابنه الشيخ أحمد بن يلس، والشيخ الهاشمي من بعده، والشيخ الشاغوري ثم الشيـــخ عبد الوهاب بوعـــافية الشريـــف

الحسني حاليا.

و لا ندّعي بعد هذا، أننا أغلقنا باب الاجتهاد في هذا الموضوع، فقد نكون سهونا عن القليل أو الكثير مما كان يجب قوله فيه. لذلك، فباب الإضافة أو التعديل لا يزال مفتوحاً للدارسين.

و أخيرا، الخـــاتمة التي سجلنـــا فيها نتـــائج البحث.

الطالبة: الحسنية أمتير

في:**2017/02/15**